فلسفة البناء الحضاري للمجتمع في فكر الأستاذ مصطفى السباعي

ونماذج من أثرها التأصيلي الدستوري المعاصر

The Philosophy of Civilizational Construction in the Thought of Professor Mustafa al-Siba‘i: An Ethical and Foundational Vision from a Contemporary Perspective

الأستاذ المساعد الدكتور

أحمد سلمان عبيد المحمدي

Assistant Professor Dr. Ahmed Salman Obaid

استلام البحث: ٢٠٢٥/٨/٤م

نشر البحث: ٢٠٢٥/٩/٣٠م

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

الملخص

يسلّط هذا البحث الضوء على فلسفة البناء الحضاري في فكر الأستاذ مصطفى السباعي، بوصفها مشروعاً شاملاً ومرتكزاً أخلاقياً متجذراً في الوحي الإسلامي والأسس الروحية للشريعة. وتعكس رؤيته التزاماً عميقاً بأصالة التراث الإسلامي، مع الانفتاح على تعقيدات الحياة المعاصرة، مُشكّلةً منهجاً متوازناً يسعى إلى التجديد دون انفصال عن المبادئ التأسيسية.

أكد السباعي أن ركائز أي نهضة حضارية يجب أن تقوم على قيم العدل، والحرية، والمساواة، والتعايش السلمي. ويتمحور فكره حول دور الإنسان بوصفه حاملاً للقيم وفاعلاً في الإصلاح. وقد شدّد على ضرورة تهذيب الأخلاق، وصيانة كيان الأسرة، والارتقاء بالعلم والتعليم، معتبراً إياها عناصر أساسية لبناء مجتمع يحافظ على هويته، ويتفاعل بثقة مع منجزات العصر الحديث.

وتجسّد إسهامه في صياغة دستور سوريا لعام ١٩٥٠ قدرته على المواءمة بين الفقه الإسلامي ومتطلبات اللغة الدستورية المعاصرة. فلم يكتفِ بنقل النصوص الفقهية القديمة، بل أعاد عرض جوهرها في صياغة ملائمة للسياق الفكري والتشريعي لعصره، مؤسساً مقترحاته على مقاصد الشريعة الإسلامية.

ويُبرز فكر السباعي أن الحضارة الحقيقية لا تنبثق من النصوص القانونية فحسب، بل من تحوّل في الوعي الأخلاقي والرؤية الفكرية. وقد دعا إلى تجديد حضاري يستند إلى القيم الإسلامية، والحوار الاجتماعي، والأصالة الثقافية، وكرامة الإنسان.

وخلاصة القول، توصلت الدراسة إلى أن المشروع الفكري للسباعي يقدم نموذجاً في دمج القيم الإسلامية مع الفكر الدستوري المعاصر، نموذجاً قادراً على إرشاد الجهود المستقبلية لإعادة بناء المجتمع المدني والحياة السياسية في العالم الإسلامي، على أساس الوحي والعقل والمسؤولية، وبنظرة تستشرف المستقبل.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، المجتمع، الفكر الدستوري، السباعي.

Abstract

This research highlights the philosophy of civilizational construction in the thought of Professor Mustafa al-Siba‘i as a comprehensive and ethically anchored project rooted in Islamic revelation and the spiritual foundations of the Shari‘ah. His vision reflects a deep commitment to the authenticity of the Islamic tradition while engaging the complexities of modern life, forming a balanced approach that seeks renewal without detachment from foundational principles.

Al-Siba‘i affirmed that the pillars of any civilizational awakening must be grounded in values such as justice, freedom, equality, and peaceful coexistence. Central to his thought is the role of the human being as both the carrier of values and the agent of reform. He emphasized the nurturing of moral character, the protection of the family structure, and the elevation of knowledge and education, viewing these as essential for building a society that preserves its identity while interacting confidently with modern advancements.

His contribution to the drafting of the 1950 Syrian Constitution exemplifies his ability to harmonize Islamic jurisprudence with the requirements of contemporary constitutional language. He did not merely translate old fiqh texts but re-presented their essence in a form suited to the intellectual and legislative context of his time, grounding his proposals in the higher objectives of Islamic law (maqasid al-shari‘ah).

Al-Siba‘i’s thought insists that true civilization cannot arise from legal texts alone, but from a transformation in ethical consciousness and intellectual vision. He called for civilizational renewal rooted in Islamic values, social dialogue, cultural authenticity, and human dignity.

In sum, the study concludes that Al-Siba‘i’s intellectual project offers a model for integrating Islamic values with contemporary constitutional thought—a model capable of guiding future efforts to reconstruct civil society and political life in the Muslim world on the basis of revelation, reason, and responsibility, looking forward to the future.

Keywords: Civilization Society Constitutional Thought Al-Sibai.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد آله وصحبه أجمعين:

وبعد: فقد شهد العالم في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية حراكًا فكريًا وسياسيًا متسارعًا أفرز أسئلة جوهرية حول طبيعة الدولة، ومفهوم المواطنة، وأسس الشرعية، وأهمية بناء دساتير تعبّر عن هوية الشعوب وقيمها الحضارية، ونحت كل دولة منحى خاص بها لبلورة نظام حكم ينسجم مع البناء الحضاري والثقافي للمجتمع حيث مرت تلك الأمم والشعوب بمراحل ومحطات للوصول للحالة التي يمكن أن تؤهل تلك الدولة لصياغة مشروعها الحضاري الخاص بها.

وقد درست في بحثي المعنون بـــــ: (فلسفة البناء الحضاري للمجتمع في فكر الأستاذ مصطفى السباعي ونماذج من أثرها التأصيلي الدستوري المعاصر) رؤية المفكر الإسلامي الأستاذ السباعي باعتباره أحد أبرز أعضاء لجنة كتابة الدستور السوري لعام ١٩٥٠م، وكيف أن الرؤى الفكرية المتقدمة التي طرحها كانت سابقة لزمانه حينها عن طريق تأصيله للبعد الحضاري والأخلاقي للمواد الدستورية باعتبارها اللبنة الأساسية للبناء الحضاري، إذ يعد من أبرز المفكرين الذين درسوا قضايا المجتمع والحضارة من زاوية أخلاقية واجتماعية حيث تضمنت أفكاره وطروحاته نموذجا ناضجا ومنسجما مع النهضة الحضارية الحديثة، والتطور المعرفي الذي شهدته المجتمعات في مرحلة ما بعد الثورة الصناعية حيث طرح رؤية متكاملة للبناء الحضاري لا تفصل بين القيم الأخلاقية والمجتمع ومؤسسات الدولة، فالحضارة ليست تقدمًا ماديًا مجردًا، بل هي ثمرة لتوازن قيمي واجتماعي ينبثق من الإنسان ويعود إليه. وانطلاقًا مما تقدم فقد قسمت البحث الى مطلبين وخاتمة، وقد جعلت **المطلب الأول** دراسة ممهدة للبحث حيث تناولت فيه نبذة عن نشأة الأستاذ مصطفى السباعي وحياته، ومنهجه الفكري، ودوره السياسي، وكفاحه في لجنة كتابة الدستور، ثم ختمت هذا المطلب بتعريف الحضارة، وبما يتناسب مع فرضية البحث وعنوانه. أما **المطلب الثاني**: فقد تناولت فيه نماذج من فلسفة البناء الحضاري للمجتمع في فكر الأستاذ مصطفى السباعي.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات السابقة التي تناولت الأستاذ مصطفى السباعي لم تتناول موضوع فلسفة البناء الحضاري للمجتمع وصلتها بالفكر الدستوري بشكل معمق، على الرغم من أنها تمثل ركناً أساسياً في مشروعه الحضاري إذ إن الفكر الدستوري يتضمن المبادئ الفكرية العامة التي تنظم الدساتير، وآليات الحكم والعلاقة بين السلطة والفرد وحماية الحقوق والحريات، ويمثل هذا الإطار

مدخلاً لفهم البعد الحضاري لفكر السباعي، وإبراز إسهامه في صياغة رؤية دستورية ذات طابع حضاري وأخلاقي.

والله أسأل أن يوفق أمتنا لما فيه خير وصلاح البلاد والعباد.

المطلب الأول

تمهيد

ويتضمن ما يأتي:

أولا: نبذة عن نشأة الأستاذ مصطفى السباعي:

وُلد الأستاذ مصطفى بن حسني السباعي في مدينة حمص بسوريا عام ١٩١٥م حيث نشأ في أسرة علمية عريقة، فقد كان والده وأجداده يتولون الخطابة في الجامع الكبير بمدينة حمص جيلاً بعد جيل، وقد تأثر بوالده العالم الجليل الشيخ حسني السباعي، الذي كانت له مواقف مناهضة للمستعمر الفرنسي، وقد صقلته البيئة العلمية المحيطة به، وأثرت فيه بشكل كبير عن طريق تنمية شخصيته وتكوينه الفكري. (١)

حفظ السباعي القرآن الكريم، ودرس العلوم الشرعية في سن مبكرة، مما أسهم في نبوغه العلمي والدعوي حيث التحق بالمدرسة الشرعية في حمص، تعلم فيها علوم اللغة العربية وآدابها والفقه والتفسير والحديث، وهي الدراسة التي تمهد للطلاب دخول الجامعة (أي دراسة الإعدادية التي تسبق دخول الجامعة أو " التوجيهي" بحسب ما يطلق عليه في بعض البلاد العربية كل حسب اصطلاحه) وقد اكتشف أساتذته ومن حوله نبوغه وذكاءه حيث ساهمت البيئة العلمية المحيطة به في نضوجه المبكر، ثم إن دراسته في هذه المدارس رسخت لديه أسس العلوم النقلية والعقلية وعلوم الآلة التي تُستخدم كأدوات لفهم واستنباط العلوم الشرعية، مثل النحو، والصرف، والبلاغة باعتبارها أدوات أساسية لفهم واستنباط العلوم الشرعية، ثم انتقل في عام ١٩٣٣م إلى مصر حيث التحق بجامعة الأزهر؛ ليكمل

(١) ينظر: مصطفى السباعي رجل فكر وقائد دعوة: د. عبد العزيز الحاج مصطفى، دار عمار، عمان، ط١/ ١٩٨٤م، ص١٥.

دراسته الجامعية الأولية والعليا حتى نال درجة الدكتوراه في التشريع الإسلامي، ليصبح أول سوري يحصل على هذه الدرجة من الأزهر. (١)

وقد تأثر إبان رحلته العلمية في القاهرة بفكر الحركة الإصلاحية التي كان يقودها الأستاذ محمد رشيد رضا، والأستاذ حسن البنا حيث شارك في إقامته في مصر في الأنشطة الفكرية والسياسية، مما أدى إلى اعتقاله عدة مرات من قِبَل السلطات البريطانية بسبب مواقفه المناهضة للاستعمار الأجنبي حيث شارك في المظاهرات مع الطلاب العرب دعما للكفاح الفلسطيني ضد العصابات الصهيونية، وشارك أيضا في المظاهرات الطلابية المؤيدة لثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الإنكليز في العراق عام ١٩٤١م. (٢)

بعد الإفراج عنه وخروجه من السجن، عاد الدكتور السباعي إلى سوريا، حيث انخرط في العمل السياسي والاجتماعي، وأسهم في تأسيس جمعية الإخوان المسلمين في سوريا عام ١٩٤٥، وانتُخب أول مراقب عام لها، كما شارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، حيث قاد كتيبة من المجاهدين للدفاع عن المسجد الأقصى المبارك. (٣)

وفي المجال الأكاديمي، عمل الدكتور السباعي أستاذًا في كلية الحقوق بجامعة دمشق، ثم أصبح عميدًا لكلية الشريعة، حيث ساهم في تأسيسها، وكان أول عميد لها، كما انتُخب عضوًا في البرلمان السوري عن مدينة دمشق، وشارك في لجنة كتابة الدستور السوري. (٤)

تعرض للإصابة بالشلل النصفي في عام ١٩٥٧م بسبب الإرهاق الشديد(٥)، والتعب وكثرة المهام التي انيطت به إلا أنه استمر في إنتاجه الفكري الغزير متجاوزا بهمته تلك التحديات الصحية التي

---

(١) ينظر: مصطفى السباعي الداعية الرائد والعالم المجاهد: د. عبد الله الطنطاوي، دار القلم، دمشق، ط١/٢٠٠١م، ص٢٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: مجلة حضارة الإسلام للدراسات تاريخية: عقيلة حايد، عدد ٢، أبريل، ٢٠١٤، ص ١٠٩.

(٣) ينظر: مصطفى السباعي صفَحات من جهاد متواصل: لمحمد بسام الأسطواني، دار الوراق للنشر، عمان، ط١/٢٠٠٠م، ص٣٨.

(٤) مصطفى السباعي الداعية المجدِّد: لعدنان محمد زرزور، دار القلم، دمشق، ط١/٢٠٠٠م، ص٢٦.

(٥) الجدير بالذكر أن العديد من العلماء الأفذاذ الذين عاصروا الأستاذ مصطفى السباعي أشادوا بجهوده وفضله، مؤكدين طاقته الاستثنائية التي كان يعمل بها إذ يقول فيه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: (ما أكبر هذه الهمة المتسعة المتشعبة التي أوتيها! إنها لو قسمت عزماتها ومقاصدها على عشرين شاباً من ذوي الجد لضاقوا بأدائها والنهوض بها ذرعاً، وناؤوا بها ثقلاً). وكذلك هناك شهادة مماثلة للدكتور محمد المبارك يصف فيها همة الدكتور مصطفى السباعي.

واجهته إذ أبدع في تأليف الكثير من الكتب القيمة في مدة مرضه وملازمته المنزل، فقد أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفات تعكس عمق فكره، ومواكبته للعصر ومتطلباته ، مثل كتاب "هكذا علمتني الحياة"، وغيرها من الأعمال التي تعكس عمق تفكيره، واهتمامه بقضايا الأمة الإسلامية، وقد تُوفي الدكتور مصطفى السباعي في ٣ أكتوبر ١٩٦٤، بعد حياة حافلة بالعطاء الفكري والسياسي والاجتماعي. (١)

ثانيا: منهجه الفكري ودوره السياسي:

إن دراسة المنهج الفكري لأي شخصية مؤثرة تتيح لنا استكشاف أعماق العلاقة بين الفكر والممارسة العملية في تشكيل الأبعاد السياسية والاجتماعية؛ لأن الفكر ليس مجرد مجموعة من الأفكار والتصورات، بل هو أداة حية تتفاعل مع التحديات الزمانية والمكانية، بما يضمن تقييمًا دقيقًا لطريقة التفكير والتفاعل مع الأحداث والتحولات الفكرية والسياسية التي يعيشها المفكر وبيئته التي يعيش فيها بشكل عام، وبناء على ما تقدم سأبين ملامح ذلك عن طريق الفقرات الآتية:

أ- **المنهجية الفكرية للأستاذ مصطفى السباعي:** من التتبع والاستقراء في مؤلفات الأستاذ السباعي فإني أسجل النقاط الآتية التي تبين جانباً فريداً في منهجه الفكري الذي تميز به:

١- تتسم المنهجية الفكرية للأستاذ مصطفى السباعي بتكامل فريد يجمع بين الأصالة والتجديد، حيث سعى إلى استنطاق التراث الإسلامي، وإعادة صياغة مفاهيمه بروح معاصرة، ويتجلى بكتابه الشهير (من روائع حضارتنا) وغيره من المؤلفات معتمدًا على تحليل دقيق لنصوص التراث الإسلامي بشقيه الاجتماعي والسياسي.

٢- وظّف السباعي أدوات استقرائية واستنباطية لفهم النصوص الشرعية، مؤكدًا على ضرورة تكييفها مع مستجدات العصر دون التفريط في الثوابت.

٣- كما ركّز على البعد الأخلاقي كركيزة أساسية في بناء الفرد والمجتمع، داعيًا إلى تفعيل القيم الإسلامية في مختلف مناحي الحياة.

٤- قدم في محاضراته ومؤلفاته وخطبه رؤية شاملة للإسلام، تجمع بين العقيدة والشريعة، والجانب الروحي والمادي، والتوازن بين الحقوق والواجبات، بهدف تحقيق نهضة حضارية متكاملة.

يراجع: مصطفى السباعي بأقلام محبيه وعارفيه: بقلم محمد السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١/٢٠٠٠م، ص ٥٦.

(١) ينظر: الأعلام: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥/ ٢٠٠٢م، ٢٣١/٧. ومما تجدر الإشارة إليه أن الأستاذ خير الدين الزركلي قد أخطأ في ذكر سنة وفاته، حيث ذكر أنه توفي عام ١٩٦٧م، والصحيح أنه توفي عام ١٩٦٤م، وجل من لا يخطئ.

ب- مؤلفات السباعي ونتاجه الفكري:

وفيما يأتي قائمة بأبرز مؤلفات الدكتور مصطفى السباعي، التي تبرز سعة اطلاعه وموسوعيته، فمن تلك المؤلفات: السنة ومكانتها في التشريع، شرح قانون الأحوال الشخصية (ثلاثة أجزاء)، من روائع حضارتنا، المرأة بين الفقه والقانون، عظماؤنا في التاريخ، القلائد من فرائد الفوائد، هكذا علمتني الحياة (ثلاثة أجزاء كتبها في مرضه)، اشتراكية الإسلام (ثم طُبع بعنوان التكافل الاجتماعي في الإسلام)، أخلاقنا الاجتماعية، أحكام الصيام وفلسفته، الدين والدولة في الإسلام، نظام السلم والحرب في الإسلام، هذا هو الإسلام (جزءان)، السيرة النبوية دروس وعبر، الاستشراق والمستشرقون، المرونة والتطور في التشريع الإسلامي، منهجنا في الإصلاح، جهادنا في فلسطين، مشروعية الإرث وأحكامه، آلام وآمال، الصراع بين القلب والعقل، أصدق الاتجاهات الفكرية في الشرق العربي، مقدمة حضارة الإسلام وغيرها.[١]

ثالثا: تعريف الحضارة:

إن تعدد التعريفات هي سمة بارزة في أدبيات العلوم كافة، إذ هي تعكس التعددية الفكرية والتنوع في الرؤى بين المدارس الفكرية، ومن هذا المنطلق، فإني سأورد أهم التعريفات التي تجسّد هذا التنوع، حيث يُعبّر كل تعريف عن إطار فكري يرسم تصوراً لمصطلح الحضارة، وبما ينسجم مع رؤى ومناهج المفكرين المختلفة، فمن ذلك:

١- تعريف العلامة ابن خلدون للحضارة (ت٨٠٨هـ-١٤٠٦م): إذ عرف الحضارة بقوله:(هي التّفنّن في فن العمارة والتّرف واستجادة أحواله الّتي تؤنّق من أصنافه، وسائر فنونه من الصّنائع المهيّئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية، ولسائر أحوال المنزل).[٢] وفي ضوء ما تقدم من كلام العلامة ابن خلدون يمكننا أن نعرف الحضارة بكونها: العمران المادي والمعنوي الذي يأتي نتاج التراكم التدريجي للأنشطة البشرية، ويعكس تطور المجتمع في ميادين الاقتصاد والسياسة والثقافة، ونمط الحياة اليومية.

---

(١) ينظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة: كتب ومؤلفات الدكتور مصطفى السباعي.

(٢) تاريخ ابن خلدون (المقدمة): لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ، دار الفكر، بيروت، ط١/ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م،١/ ٤٦٥.

٢- تعريف الدكتور مصطفى السباعي (ت١٩٦٤م) للحضارة: (هي نظام اجتماعي يُعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي والاقتصادي والنضج السياسي والأخلاقي المجتمعي من خلال مواكبة العلوم والفنون). (١)

٣- تعريف الأستاذ مالك بن نبي (ت١٩٧٣م) للحضارة: (هي جملة العوامل المعنويّة والماديَّة التي تتيح لمجتمع ما أن يوفِّر لكلِّ عضوٍ فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوُّره). (٢)

٤- تعريف ويل ديورانت (ت١٩٨١م) للحضارة:(هي التعبير الكامل عن إنجازات الإنسان في جميع ميادين الحياة؛ فهي نتاج تجمع الأنشطة الفكرية والثقافية والاقتصادية التي تُسهم في بناء مجتمع متكامل ومتميز، يُظهر قدرة الشعوب على التجدد والابتكار على مر العصور). (٣)

وبعد استعراض التعريفات فإني أسجل الملاحظات الآتية:

١- من التتبع والاستقراء في مقدمة ابن خلدون نلاحظ أنه يرى أن الحضارة ظاهرة شاملة تتعدى البُعد المادي، فهي تشمل الحياة الفكرية والروحية؛ فهو ينظر إلى العمران ليس كهيكل أو مزيج من البنى، بل كنتاج لتراكم متسلسل للجهود الإنسانية التي تُشكّل نسيجًا متماسكًا، يفتح آفاق استشراف المستقبل عبر نظم تنظيمية مبتكرة تُعيد تشكيل معالم الحياة اليومية، فالعمران ونمط الحياة الراقي هو دليل على النضج الفكري للمجتمع.

٢- وفيما يتعلق بتعريف الدكتور مصطفى السباعي للحضارة، فهو يعطي تصورا ذا بعد اجتماعي للحضارة كآلية اجتماعية تُفعّل الطاقة المعرفية في المجتمع، التي تنبثق من نضج سياسي وأخلاقي؛ إذ يُعدُّ اندماج العلوم والفنون بالنضج الاجتماعي والأخلاقي في منظومة متكاملة قوة دافعة تحول الإبداع إلى عامل محوري في تطور المجتمع.

٣- أما الأستاذ مالك بن نبي، فقد تناول الحضارة بناء على عملية التفاعل المُنسَّق المنتظم بين العوامل المادية والروحية، حيث تُعَدُّ البيئة الاجتماعية منصة استراتيجية تُوفر للفرد الضمانات اللازمة للنمو، مما يُفضي إلى بناء هوية جماعية تُثري العلاقات بين مكونات المجتمع، وتُعزز التكامل البنّاء.

---

(١) من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١/ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، ص٦٩.

(٢) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط١/ ١٩٨٨م، ص٤٢.

(٣) قصة الحضارة: وِل ديورانت وأرييل ديورانت، ترجمة محمد بدران وآخرين، دار الجيل، بيروت، ط١/١٩٧٥م، ص١٢.

٤- أما تعريف ويل ديورانت، فهو يجمَع الحضارة في سجل حيّ للإنجازات الفكرية والثقافية، حيث يُحوّل تراكم الإنتاج البشري إلى منصة لتجديد الابتكار، مما يمكّن الشعوب من إعادة استثمار إرثها التاريخي في صياغة مستقبل يرتكز على الأصالة والتجدد المستمر.

وبالمحصلة: فإن التعريفات بمجملها تجمع على مفاهيم النضج والتطور والتقدم والرقي في نمط حياة الشعوب على الصعيد الجماعي بإطاره المادي والمعنوي، وبأسلوب يشمل مناحي الحياة كافة من الاستفادة من تجارب الماضي، لحاضر مزدهر، ومستقبل يلبي تطلعات الأجيال القادمة.

رابعا: السباعي وكفاحه في لجنة كتابة الدستور: في عام ١٩٤٩م انتُخب الدكتور مصطفى السباعي نائبًا عن دمشق في الجمعية التأسيسية السورية، حيث لعب دورًا بارزًا في لجنة صياغة الدستور السوري عام ١٩٥٠م[١]، وذلك بصفته نائبًا لرئيس المجلس، وعضوًا في لجنة كتابة الدستور المكونة من تسعة أعضاء حيث سعى السباعي إلى دمج المبادئ الإسلامية مع متطلبات الدولة المدنية الحديثة، وقد أضاف فقرة مهمة في الدستور تنص على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، تلك الفقرة التي كانت تزعج قوى الاستعمار حيث سعت القوى الاستعمارية ومؤيدوها جاهدين إلى طمس الهوية الإسلامية في بلاد المسلمين، وقد تجلت جهود الأستاذ السباعي إبان عضويته في لجنة كتابة الدستور إلى تحقيق توازن دقيق يحافظ على القيم الإسلامية بأسلوب معاصر ينسجم مع روح العصر، مما أسفر عن دستور يراعي التنوع الثقافي والديني في سوريا، ويعزز قيم التعايش السلمي، والعيش المشترك بين أبناء المجتمع مع احترام خصوصية التنوع الفكري داخل المجتمع.

ولم تكن عملية كتابة الدستور بالأمر الهين اليسير في مطلع عقد الخمسينات، بسبب هيمنة الأحزاب القومية واليسارية والليبرالية آنذاك، وسيطرتها على المشهد السياسي في بلاد الشرق العربي، ولا سيما في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبقاء رواسب الاستعمار الأجنبي وغزوه الفكري والثقافي للبلاد الإسلامية ، غير أن السباعي، وبما امتلكه من ذكاء وحنكة ولباقة وفكر مستنير، تمكّن من إقناع لجنة صياغة الدستور، ونجح في تضمين بنود أساسية ومفصلية في دستور الجمهورية السورية لعام ١٩٥٠م، حيث شارك السباعي بفعالية في لجنة الصياغة التي كُلِّفت بمراجعة مواد الدستور، وتحرير نصوصه الأساسية[٢]، وحرص على توسيع نطاق المادة الثالثة من الدستور لتشمل إعلان أن (الإسلام دين الدولة) بدلاً من اقتصار ذكر الإسلام على (دين رئيس الجمهورية فقط)، مساهما في صياغة نصٍ

(١) ينظر: الدكتور مصطفي السباعي قائد جيل ورائد أمة: د. أدهم جرار، دار البشير، ط١/ ١٩٩٤م، ص١٠٤.

(٢) ينظر: المسألة الدينية في الدساتير السورية: مسح تاريخي ومقارن، مجموعة مؤلفين، وحدة بحوث النزاع، مدرسة لندن للاقتصاد، لندن- بريطانيا، ط١/ ٢٠١٨م، ص٢٧.

توافقِي اعتمده المجلس التأسيسي، وقد نصت المادة الثالثة لأول مرة في الدساتير السورية على أن (الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع) كما أكد الدستور رسميًا تمسك الدولة بالإسلام، ونص في مقدمته على (تمسكها بالإسلام ومُثُله العليا)[١]، وقد خاض السباعي معركة فكرية لتثبيت هذه المواد، وشهدت اللجنة نقاشات حادة بين التيارات الليبرالية والقومية والإسلامية قبل الوصول إلى الصياغة النهائية[٢]، وفي اللحظات الأخيرة نجح السباعي في إدراج تلك البنود في الدستور، ولاسيما تلك المتعلقة بالمادة الأولى، والتي تنص على أن الإسلام دين الدولة والمادة الثالثة، التي تنص المادة على دور الفقه الإسلامي كمصدر للتشريع.

وتتجلى جهود السباعي في لجنة كتابة الدستور بجهوده في المحافظة على الأخلاق الإسلامية حيث أدرك حجم المخاطر والتحديات التي تواجه الأمة، وأهمية المحافظة على البُعد الأخلاقي في الوثيقة الدستورية، فعمل على إدخال بنود تؤكد على بناء الدولة الحديثة على أسس من الأخلاق القويمة التي جاء بها الإسلام والأديان السماوية الأخرى، وعلى مكافحة الإلحاد وانحلال الأخلاق، [٣]، وعدّ المراقبون تضمين مثل هكذا بند انتصارًا للتيار الإسلامي بقيادة السباعي ضد ضغوط التيارات العلمانية المدعومة من فرنسا تحديدا، والغرب بشكل عام حينها، وقد سعى أيضًا إلى تشريع قانون يقضي بتدريس مواد التربية الإسلامية وبشكل الزامي في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي لتعزيز الأخلاق الفاضلة، وتشريع قانون يحافظ على استقلال الأوقاف الإسلامية كمؤسسة عامة لضمان دعم القيم الإسلامية، وقد أسهم نجاح السباعي في تحقيق هذا التشريعات في جعل دستور عام ١٩٥٠ المرجع الدستوري الأكثر استقرارًا في تاريخ سورية الحديث.[٤]

المطلب الثاني

فلسفة البناء الحضاري للمجتمع في فكر الأستاذ مصطفى السباعي

ونماذج من أثرها التأصيلي الدستوري المعاصر

---

(١) يراجع المواد الدستورية المذكورة أعلاه في: دستور سوريا ١٩٥٠: الجمعية التأسيسية، الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، ٥ سبتمبر ١٩٥٠، المادة ١ والمادة ٣.

(٢) مذكرات أكرم الحوراني: أكرم الحوراني، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١٢٦.

(٣) ينظر: المسألة الدينية في الدساتير السورية: لمجموعة مؤلفين، ص٥–٦.

(٤) يراجع: دستور سوريا ١٩٥٠: الجمعية التأسيسية، الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، ٥ سبتمبر ١٩٥٠، المادة ٣٤.

أولاً: الإنسان وتشكيل الهوية الحضارية للمجتمع:

يُعد إصلاح الإنسان الركيزة الأساسية لبناء أي حضارة؛ لأن صلاح الإنسان كفرد يعني صلاح المجتمع، وهو ما ينعكس إيجابا في البناء الحضاري للأمة، ولا يمكن لنا بناء الانسان بناء صحيحا في ضوء القيم الحضارية من دون تفعيل مبدأ الحرية المنضبطة في أطر المسؤولية الجماعية، إذ هي المفتاح لتجديد القيم الحضارية، حيث يقول الأستاذ السباعي (إن الإنسان هو حجر الأساس في بناء الحضارة، فإن صلح الإنسان صلحت معه الأمة، وإن فسد الإنسان انهارت دعائم الحضارة مهما بلغت من القوة المادية)[١]

ومن التتبع والاستقراء في مؤلفات الأستاذ السباعي[٢] فإنه يمكن لنا استخلاص المبادئ العامة التي تسهم في صياغة الإطار الفلسفي العام للهوية الحضارية للإنسان بما يسهم في بناء المجتمع:

١- **احترام إنسانية الإنسان وحقه في الحياة:** فلا يمكن إصلاح الإنسان إلا بعد إصلاح أسلوب تفكيره، وطريقة تحليله للأمور، ونظرته للبشر المحيطين به عن طريق إيمانه أن الأصل البشري لأبناء البشرية قاطبة هو أصل واحد، ومهما تفرق الناس بعد ذلك إلى أمم وقبائل وبلدان وأجناس، فإنما هو كتفرق البيت الواحد والأخوة من أب واحد وأم واحدة، ومن ذلك انبثق المبدأ الإنساني الخالد [٣] ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عند اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) [٤] فالكل سواء عند الله في آدميتهم وإنسانيتهم لا تمايز بينهم إلا بالتقوى، وهم سواء أمام القانون في الخضوع له، لا تمايز بينهم إلا بالحق ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)) [٥]، وهم سواء في كيان المجتمع، يتأثر قويهم بضعيفهم، حيث يقول النبي عليه الصلاة السلام: (مثل المؤمنين في

---

(١) هكذا علمتني الحياة: مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ط/٤ لسنة ٢٠٠٣، ص ٥٤.

(٢) وجدير بالذكر أن الدستور السوري لعام ١٩٥٠م، والذي كان السباعي أحد أبرز كتابه قد ركز في المادة ١٩ من الدستور على هذه الفكرة حيث ورد النص الدستوري الآتي: (يقوم المجتمع على أساس التضامن والتكافل واحترام مبادئ العدالة الاجتماعية، والحرية والمساواة، وصيانة الكرامة الإنسانية لكل فرد) ينظر: دستور الجمهورية العربية السورية لعام١٩٥٠م، دمشق: المطبعة الحكومية، ١٩٥٠م، المادة ١٩.

(٣) ينظر: من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعي، ص١٧.

(٤) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٥) سورة الزلزلة: آية ٧.

توادَهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) [١].

٢- تأصيل مبدأ المساواة بين الناس كأساس للبناء الحضاري:

يركز الأستاذ السباعي في كتاباته على عمق النزعة الإنسانية في التصور الإسلامي كأحد أبرز مرتكزات البناء الحضاري للإنسان، حيث تتجلى المساواة بين البشر في الجوانب العملية لكافة مفاصل التشريع، مما يكشف عن عمق فلسفي يتجاوز الأبعاد الشكلية إلى تأسيس بنية قيمية جامعة.

ففي الشعائر التعبدية، يتجلى مشهد التكافؤ بأجلى صوره؛ فالصلاة – وهي المعراج الروحي اليومي للمسلم – تُسقط كل الحواجز الطبقية، فيصطف الجميع صفاً واحداً، دون اعتبار للمكانة الاجتماعية أو المعرفية، إذ لا امتياز يُمنح لملك ولا لعالم، فالجميع أمام خالقهم سواء، وكذا في فريضة الصيام حيث يتساوى الناس جميعاً في اختبار الجوع والانضباط، دون استثناء لميسور أو ذي سلطان، مما يغرس في الوجدان الجمعي الشعور بوحدة المعاناة والغاية منها، ويبلغ هذا التوحيد ذروته في شعيرة الحج، حيث تتلاشى الفوارق البشرية تحت عباءة الإحرام، في مشهد كوني يوحّد الهيئة والمناسك والمقصد، فلا تفاضل بين قريب أو بعيد، ولا تفريق بين من بسطت له الدنيا ومن ضيّقت عليه. [٢]

وعند الانتقال من الشعائر التعبدية إلى الأحكام القانونية، نلمس ذات الروح في منظومة القانون المدني، إذ تُبنى العلاقات بين الأفراد على مبدأ إنصاف الحقوق، ويُجعل العدل هو الناظم الأعلى الذي يحتكم إليه الناس كافة، دون انحياز لقوة أو جاه، ولا يختلف الأمر في المجال الجزائي، حيث تُطبَّق العقوبات وفق الفعل لا الفاعل، فلا يُمنح الجاني حصانة، ولا يُغلّ يد القانون أمام سلطة أو نفوذ، فالمحاسبة تطال الجميع، سواء أكان الجاني رئيساً أو راعياً، والمجني عليه عزيز قوم أو مغمور النسب، إذ لا فضل لمواطن على آخر إلا بمقدار التزامه بالقانون. [٣]

---

(١) صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١/ ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥م، ١٩٩٩/٤، برقم ٢٥٨٥.

(٢) ينظر: من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعي، ص١١٢.

(٣) ينظر: المرأة بين الفقه والقانون: مصطفى السباعي، دار الوراق، بيروت، ط١/١٩٩٩م، ص٢٧ وما بعدها.

ومن هذا النسق الشامل، يتضح أن المساواة في التصور الإسلامي ليست مجرد قيمة أخلاقية، بل هي معمار حضاري يتخلل كل أبعاد الحياة، ويؤسس لمدنية تقوم على وحدة الكرامة الإنسانية، وسمو القانون فوق الاعتبارات الشخصية والاجتماعية.

٣- مبدأ المحافظة على كرامة الإنسان:

إن التصور الإسلامي يُعلي من قيمة الإنسان، ويعد كرامته مبدأً ثابتاً لا يجوز المساس به تحت أي ظرف، فالشريعة الإسلامية تعمل على صون هوية الإنسان الحضارية، إذ تسعى إلى حماية إنسانيته، وحقوقه الأساسية في مختلف ميادين الحياة. وفي هذا الإطار، نجد تأكيدًا في القرآن الكريم على كرامة بني آدم: قال تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))[١] وهذه الكرامة ليست مقتصرة على فئة أو جنس، بل هي حق مكفول لكل البشر دون استثناء، وهي التي تكفل للإنسان حق الحياة، وحق التعلم، وحق العيش بكرامة، فلا تمييز بين فرد وآخر على أساس العرق أو الطبقة الاجتماعية.

من جهة أخرى، تبين التشريعات الإسلامية كيف يجب على الدولة أن تلتزم بضمان هذه الحقوق بشكل متساوٍ بين المواطنين، فهذه المبادئ لم تكن مجرد نصوص نظرية، بل كانت واقعًا عمليًا في ظل الحكم الإسلامي، حيث تحققت المساواة والعدالة على الأرض في عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

ويتجسد ذلك في الحادثة التي يرويها الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه حيث يقول:

((سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)).[٢]

إن هذا الحديث الشريف يؤكد على مبدأ احترام الكرامة الإنسانية لأي إنسان مهما كان مستواه الطبقي، ومهما كان مستواه الوظيفي في نظر الناس، فعامل النظافة وعامل البناء وأصحاب المهن

---

(١) سورة الاسراء: آية ٧٠.

(٢) صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٥/ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، ١/ ٢٠، برقم ٣٠.

البسيطة لهم قيمة عظيمة في ميزان الإسلام، والحديث الآنف ذكره يعكس رفض الإسلام لأي نوع من أنواع الانتقاص من كرامة الإنسان بناءً على الأصل أو العرق أو المهنة، كما يرشد الناس إلى ضرورة معاملة الآخرين بإنصاف وكرامة حيث يجب أن يُعامل كل إنسان بما يستحق من احترام وتقدير.

وبمقارنة ما تقدم من مضامين أرسى دعائمها الفكر الاسلامي بما عليه الحال في الدساتير والأنظمة في النظم السياسية الغربية، فإني أسجل الملاحظات الآتية:

١- تبرز النظم الغربية تركيزها على حماية الحقوق الفردية، والفصل بين المسؤوليات الشخصية والمؤسساتية، دون إعطاء بعدٍ حضاري موحد يعيد تأصيل الهوية الإنسانية الشاملة.

٢- فقدان ميثاق حقوق الإنسان في قوانين الأمم المتحدة للمصداقية في التطبيق، إذ تحتفل الدول بذكرى إعلانه يوماً في كل عام تحت شعار اليوم العالمي لحقوق الإنسان، بينما تنتهكه الدول الكبرى في كل يوم حيث ظلت تلك المبادئ حبيسة في البلد الذي أُعلنت فيه، كما احتبست مبادئ الثورة الفرنسية في فرنسا، وحرِّمت على مستعمراتها والبلدان الواقعة تحت حكمها أو انتدابها وهيمنتها، وأبرز مثال على هذه السياسة الظلم الذي وقع على القارة الأفريقية، فهي أوضح مثال على هذا النفاق السياسي حيث تنهب يوميا ثروات أغنى قارة في العالم، وتفرض على تلك الشعوب المقهورة نظم دكتاتورية عميلة وفاسدة مدعومة من الغرب؛ للتحكم بمقدرات تلك البلدان في حين يعاني أبناء البلد الأصليين ظروفا اقتصادية مزرية، وكذا محاصرة المدنيين في غزة، وإغلاق المعابر امام المواد الغذائية والاغاثية، حيث مارست قوات الاحتلال المدعومة من الدول الكبرى سياسة تجويع الأطفال والمدنيين الغزل كسلاح في المعركة، وكذا قصف المستشفيات والطواقم الطبية وغيرها من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الانسان حيث تمثل هذه الانتهاكات أبشع صورة لازدواجية المعايير، وسياسة الكيل بمكيالين إذ هي من أبرز الظواهر التي تحكم السياسات الدولية المعاصرة، حيث يظهر النظام العالمي صورة وردية عن حقوق الإنسان، بينما تنتهك هذه الحقوق بشكل صارخ حيث تُروَّج مبادئ الحرية والمساواة وحقوق الإنسان في الدول الغربية، بينما تُمارس في الوقت نفسه انتهاكات فادحة لحقوق الإنسان في البلدان التي يسمونها بالعالم الثالث، وهذه الازدواجية لا تقتصر على العرب والمسلمين فحسب بل شملت القارة الأفريقية حيث تُستغل الشعوب، وتُنهب مواردها وثرواتها – كما أسلفنا آنفا- فهذا التناقض بين الأقوال والأفعال يعكس نوعًا من النفاق الدولي، حيث تُرفع شعارات الحرية بينما تُنتهك أبسط مبادئ حقوق الإنسان، وحقه في العيش بكرامة.

ثانيا: القيم الأخلاقية أساس البناء في المجتمع المتحضر:

من التتبع والاستقراء في مؤلفات الدكتور مصطفى السباعي حيث تتجلّى القيم الأخلاقية كعنصر جوهري لا غنى عنه في تأسيس البناء الحضاري للمجتمع المتحضر كشرط لقيامه ونهضته وديمومته؛ فهي تشكّل الأُسُس التي يرتكز عليها النسيج الاجتماعي إذ يقول (ولا تقوم الحضارة في أمة إلا إذا كانت القيم الأخلاقية هي الضابط الأول لمسيرتها، فبدون الأخلاق تتحول الأمم إلى كيانات متصارعة تنهار عند أول اختبار) [١] ، فالجانب الأخلاقي يضبط إيقاع تفاعلات أفراده ومؤسساته على حد سواء، إذ يرى السباعي أن الجانب الأخلاقي ليس مجرد سلوك فردي يتصف بالخيرية فحسب، بل هو مسار متكامل ينسج بين الأبعاد الشخصية والجماعية ليصل إلى أعماق نظام الدولة ومؤسساتها، فتتشكل من خلاله الحضارة، ويمنح المجتمع مناعةً فكرية مجتمعية قادرة على مواجهة تحديات العصر، ومن هنا يشترط لبناء مجتمع متحضر تبنّي استراتيجيات تنموية تراعي الجانب الأخلاقي عن طريق ترسيخ ثقافة الفضيلة والانتماء الأخلاقي في جميع مستويات التنظيم الاجتماعي، بدءًا من الفضاءات الصغيرة كالجمعيات والمؤسسات المحلية، وصولًا إلى مؤسسات الدولة الكبرى في قطاعيها العام والخاص. (فالإسلام ليس دِينًا يعزل الدين عن الدولة، بل هو نظام شامل يوازن بين الروح والمادة، وبين الدين والسياسة، لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة)[٢].

إن هذا المبدأ ينبغي أن يستند إلى معايير واضحة للعدالة والرحمة والتكافل، بحيث تنتقل من مجرد شعارات إلى آليات فعّالة في رسم السياسات العامة، وتوجيه مسارات البناء الحضاري بحيث تصبح القيم الأخلاقية بمثابة القالب والإطار العام الذي يضمن انضباطا، وتطوراً سليماً ومستداماً للمجتمع المتحضر من خلال ترسيخ المبادئ الأخلاقية المستمدة من الإيمان[٣] وفق رؤية فكرية تتطلع إلى أفق

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية: مصطفى السباعي، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط/٣ لسنة ٢٠٠٥، ص ١٢.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٦ لسنة ١٩٩٨، ص ٨٨.

(٣) ورد في مقدمة الدستور الذي كتبه السباعي مع أعضاء اللجنة الآخرين ما يلي: (ولما كانت غالبية الشعب تدين بالإسلام فإن الدولة تعلن تمسكها بالإسلام ومُثُله العليا، وإننا نعلن أيضاً أن شعبنا عازم على توطيد أواصر التعاون بينه وبين شعوب العالم العربي والإسلامي، وعلى بناء دولته الحديثة على أسس من الأخلاق القويمة التي جاء بها الإسلام والأديان السماوية الأخرى، وعلى مكافحة الإلحاد وانحلال الأخلاق). ينظر: دستور الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٥٠، ص١. ولمزيد من التفاصيل ينظر أيضا: الحركات الإسلامية في سورية من الأربعينيات وحتى نهاية عهد الشيشكلي: تأليف: يوهانس رايسنر، ترجمة محمد إبراهيم الأتاسي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١/٢٠٠٥م، ص٣٩٠.

جديد من الازدهار والبناء والانسجام الاجتماعي، حيث يقول السباعي إن (الحضارة تقوم على جناحين: الإيمان الذي يمنح الإنسان الأمل، والعمل الذي يحوله إلى حقيقة ملموسة) [١]

وفي هذا المقام أسجل ملحوظتين مهمتين هما:

الملاحظة الأولى: هي إن الدساتير في العالم الغربي قد اعتمدت على مبدأ الفصل بين الدين والدولة؛ وذلك بغية تأمين حرية المعتقد للفرد، وضمان حياد المؤسسات، لكنها في الوقت ذاته وقعت في مشكلة معقدة، وهي تجريد الحضارة من البعد الروحي والأخلاقي، ففي الدساتير الأوروبية على سبيل المثال، تُؤسَّس القوانين على أساس مدني مادي بحت، فتتولى الدولة وحدها تنظيم الخدمات الاجتماعية، كإدارة دور رعاية المسنين من دون الاستناد إلى منظومة قيمية أخلاقية متكاملة يساهم فيها من يترتب عليه هذا الواجب الأخلاقي، مما يحوّل الأخلاق إلى مجرد التزام شكلي، فترى الابن أو البنت يلقي بوالديه أو أحدهما في دار العجزة والمسنين عند عجز الوالدين، وهو ما يتنافى مع أبسط القيم الإنسانية، فالدول الغربية اليوم تعج بدور العجزة والمسنين التي هي أبرز معالم العقوق في القرن الحالي، وهكذا تبدو الفلسفة الغربية بكونها متقدمة مادياً لكنها متخلفة على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي. بينما يعالج الإسلام هذا الموضوع الاجتماعي بنصوص واضحة تبين عمق البعد الأخلاقي في الحضارة الإسلامية حيث يقول الله جل جلاله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٢] .

قال ابن عاشور: (قوله: وبالوالدين إحسانا اهتمام بشأن الوالدين إذ جعل الأمر بالإحسان إليهما عقب الأمر بالعبادة) [٣] حيث يشغل برّ الوالدين منزلةً رفيعة في سلم القيم الإسلامية، إذ يُكلف المسلم بإحسانهما فور إتمام واجب العبادة، دلالةً على أولوية الاحترام الأسري في البنية الأخلاقية في المجتمع الإسلامي.

والملاحظة الثانية: هي إن تأثير البعد الأخلاقي ببعده الفلسفي يتجلى بوضوح على فلسفة العمل، إذ يختلِف التصور الفكري الغربي، ونظرته للعمل عن نظرة الفكر الإسلامي في أمر جوهري، وهو أن الفكر الغربي ينظر إلى ساعات العمل باعتبارها سلعة تُبادَل بالمال، (وقت مقابل مال) بينما يراها

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، ص ١٣٢.

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٢٣ و٢٤.

(٣) التحرير والتنوير: للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١/ ١٩٨٤هـ، ٥/ ٤٩.

الفكر الإسلامي امتداداً للعبادة والتكليف الإلهي؛ لأن المعايير الإسلامية تؤطر الجهد اليومي بضوابط الأمانة والصدق والمسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى، الذي هو الرقيب على أعمال العباد، ومن هنا تصبح الأخلاقُ عاملاً حاسماً في تنظيم أدقّ تفاصيل الحياة العملية، فلا يقتصر هذا الالتزام على استحقاق الأجر من مدير العمل فحسب، بل يتعدّاه إلى الالتزام بالقيم الفاضلة التي تُعزّز من توازن الفرد والمجتمع مما ينعكس على البناء الحضاري للأمة نوعاً وكماً.

وبالجملة: فإن إدراج القيم الأخلاقية في القوانين والدساتير يعزز قدرة المؤسسات من القيام بواجباتها وبأسلوب ينسجم مع البناء الحضاري السليم، وبالتالي ينشئ هذا التكامل نسيجاً إدارياً واجتماعياً متماسكاً يدعم مسار نهضة حضارية مستدامة.

ثالثاً: دور التربية والتعليم في بناء الحضارة: ينطلق السباعي في رؤيته إلى التعليم بوصفه البنية التحتية الفكرية التي ينبثق منها الوجود الحضاري للأمم والشعوب؛ إذ لا يُختزل دوره في نقل المعارف فحسب، بل يتعداه إلى إعادة تشكيل الوعي الجمعي، وصقل الكفاءات في إطار مقاصدي هادف.

ومن التتبع والاستقراء في طروحات الأستاذ السباعي يتضح أن التربية والتعليم، كما يعرضها في كتاباته، ليست فكرة نظرية، بل هي منهج عملي حضاري يُعيد توجيه الأمة نحو غاياتها الكبرى، ويُثبّت معالم هويتها في ظل الاشتباك الحضاري العالمي، لتغدو بذلك أداة استنهاض لا غنى عنها في أي مشروع حضاري مستقبلي.[١] لأن (العلم هو سلاح الأمة في مواجهة التخلف، وبدونه تبقى الأمة في قاع الأمم عاجزة عن تحقيق دورها الحضاري).[٢]

ومن النتاج الفكري للأستاذ السباعي لاحظتُ تركيزه الواضح على قضية تطوير البحث العلمي، وهو ما يمكن فهمه في ضوء المرحلة التاريخية التي عايشها؛ إذ تزامنت كتاباته مع اشتداد السباق العلمي والتكنولوجي بين المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والمعسكر الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي، مما عمّق إدراكه بأهمية البحث العلمي، كأداة محورية في بناء قوة حضارية مستقلة (فالتعليم هو الأساس الذي تُبنى عليه الأمم، والتربية هي الروح التي تنفخ في جسد العلم ليصبح قوة دافعة نحو البناء)[٣].

---

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعي، ص٢٠٦.

(٢) أزمة الشباب المسلم: مصطفى السباعي، دار المعرفة، دمشق – سوريا، ط/٢ لسنة ٢٠٠١، ص ٣١.

(٣) هكذا علمتني الحياة: مصطفى السباعي، ص ١١٩.

إن مشروع الأستاذ السباعي الحضاري لم يكن مجرد دعوة عاطفية، بل كان تصورًا بنيويًا متكامل الأركان، يتمحور حول فكرة كسر قيود الاحتكار العلمي الذي تفرضه القوى الكبرى، إذ لابد للأمة من التمكين السيادي لمقومات الإنتاج ومصادر المعرفة، وقد أدرك السباعي أن هذا التحرر لا يكون إلا بتفعيل أدوات النهضة من داخل المنظومة التربوية والتعليمية، إذ هي الحاضنة الأولى لصياغة وعي الأمة، وهي المصنع الذي تتشكل فيه العقول، وتُبنى فيه الإرادات بطريقة تمكن الأمة من الاكتفاء الذاتي بحيث تكون قادرة على توفير غذائها من تربتها، وكسائها من معاملها، ودوائها من مختبراتها، وأمنها من سلاحها المصنوع بأيدي خبرائها، لا المستورد على حساب سيادتها، وهذه القدرة الإنتاجية لا يمكن أن تنشأ دون منظومة تعليمية كفؤة ذات جودة عالية ومنافسة، تفعل من خلالها الطاقات المعرفية، وتوجهها نحو تلبية حاجات الأمة لا استنساخ نماذج الغير.

وفي ضوء هذا التصور الشامل لأثر التربية والتعليم في التنمية والبناء الحضاري، فإن الاستقلال الفكري والسياسي ليس إلا ثمرة ناضجة لمشروع نهضوي ينطلق من قاعدة الإنتاج الذاتي، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق تطوير التربية والتعليم، والذي ينتج عنه زراعة تستجيب لحاجات المجتمع، وصناعة تلبّي متطلباته، ومعرفة تنبع من بيئته، وتسعى لفهمها وتطويرها، فالتعليم في هذا الإطار ليس ترفًا معرفيًا، بل ضرورة وجودية، تتأسس عليها بنية الدولة الحضارية [١]، وأبرز مثال على ذلك النهضة الصناعية والعمرانية التي شهدتها اليابان وسنغافورة بعد الحرب العالمية الثانية؛ وذلك بسبب تركيز حكوماتهم على ملف التربية والتعليم باعتباره العامل الحاسم في النهضة الحضارية.

إنَّ السباعي لا ينظر إلى التربية والتعليم بوصفهما آليات لنقل المعرفة فحسب، بل بوصفهما فعلًا حضاريًا شاملاً يعيد تشكيل الوعي الجمعي، ويرتقي بالإنسان من موقع التلقي إلى فضاء الفاعلية الحضارية، إذ لا تبدأ النهضة من آلة أو نظام أو اقتصاد، بل من الإنسان نفسه الذي هو خليفة الله في الأرض قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [٢] حين يُعاد تشكيله تربيةً وتعليمًا ليغدو قادرًا على التجديد والتأصيل في آنٍ واحد.

في هذا السياق أجد من المناسب أن نقارن بين نظرة الأستاذ السباعي للتربية والتعليم وارتباطها بالجانب الأخلاقي المؤسس للنهوض الحضاري، وبين نظرة الفيلسوف الغربي وول ديورانت مؤلف

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ص٤٣.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٦٥.

كتاب قصة الحضارة [١] حيث يتبين أن رؤية مصطفى السباعي للتربية والتعليم تتجاوز الإطار التقليدي الخاص بنقل المعرفة لتصبح فعلًا حضاريًا يساهم في إعادة تشكيل الوعي الجمعي، وتحويل المتعلم من موقف المتلقي التقليدي إلى الفاعل الإيجابي في مسيرة النهضة عن طريق مزج الجانب الروحي والأخلاقي في مفهوم التربية والتعليم ليكون المعلم رجلا رساليا [٢]؛ لذا فإن رؤية الأستاذ السباعي أشمل وأعمق، فهي تمزج الجانب الروحي الايماني بالجانب التربوي والتعليمي حيث تتجلى عظمة الفكر الإسلامي وعمقه الحضاري بحث الأمة على تعليم الخير حيث يقول رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ اللهَ وَمَلائِكتَهُ وَأهْلَ السَّماواتِ والأرَضِينَ، حتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِها وَحتَّى الحُوتَ، لَيُصلُّونَ على مُعلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ)). [٣]

ومن الإيمان برسالة المعلم السامية تتطور المؤسسات التربوية وفق هذا المنظور باعتبارها البنية التحتية الأساسية للنهضة الحضارية.

وفي ختام هذه الفقرة أود أن أسجل ملحوظتين مهمتين:

الأولى: أن طروحات السباعي المتعلقة بأهمية العلم والتعليم في البناء الحضاري تتسم بالعمق الفكري، كونها تمزج بين رسالة المعلم والجانب الأخلاقي، وتتجاوز السرد الوصفي للأحداث التاريخية الذي اتسمت به مقاربات المفكر الغربي (ول ستيوارت ديورانت) في كتابه (قصة التاريخ) [٤]حيث يركز الأخير على السرد التاريخي التقليدي على الوقائع المتعلقة بارتباط العلم بالحضارة، بينما يدمج السباعي بين قضية التربية والتعليم وبين قيم الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي، فيطرح رؤيته بأسلوب مختصر مترابط يتسم بالرصانة الأكاديمية والابتكار المعرفي، موجّهًا التحليل نحو مقاربات نقدية

---

(١) تحظى موسوعة "قصة الحضارة" لديل ديورانت بتقدير واسع في الأوساط الأكاديمية الغربية، نظرًا لشمولها واتساع أفقها التاريخي والفكري. وقد اعتبرها العديد من المؤرخين والفلاسفة عملاً تثقيفيًا رائدًا؛ لما تتميز به من سلاسة في العرض، وربط بين تطورات الفكر والسياسة والفن. ورغم أن بعض الباحثين ينتقدون افتقارها للصرامة الأكاديمية والتوثيق الدقيق في بعض المواضع، فإنها تُعدّ عند كثير من المثقفين الغربيين عملاً كلاسيكيًا في التاريخ الأدبي والحضاري، ومصدرًا ملهمًا لفهم تشكّل الحضارات الإنسانية من منظور شامل. ينظر: L.D. Burnett, "The Reviews Are In," Society for U.S. Intellectual History, July 13, 2019.

(٢) ينظر: السيرة النبوية – دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨/ ١٩٨٥م، ص ١٦٩.

(٣) سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١/ ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م، ٤/ ٦٢٠، وقال: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ صحيحٌ.

(٤) وقد ذكرنا آنفا أهمية هذا الكتاب عند المختصين في علم الاجتماع والبناء الحضري.

تتلاءم مع مستجدات الواقع الحضاري، وتعزز من فاعلية الجهد التربوي في إحداث التحول الحضاري المنشود.

والثانية: أن السباعي أولى قضية مجانية التعليم للفقراء وعامة الناس اهتماما عظيما إبان عضويته في لجنة كتابة الدستور حيث نص الدستور السوري لعام ١٩٥٠م في المادة ٢٨ على أن (التعليم حق لكل مواطن، والتعليم الابتدائي إلزامي ومجاني في مدارس الدولة وموحّد البرامج) [١].

رابعا: أهمية تطبيق العدالة الاجتماعية كركيزة لاستدامة الحضارة:

تُشكّل العدالة الاجتماعية الأساس الجوهري في نشوء الحضارات واستمرارها عبر مختلف العصور، ومن خلال تحليلٍ استقرائي لمسار الأمم والحضارات، يتضح أن العدالة كانت دائمًا عاملًا محوريًا في بناء القوة الحضارية واستقرارها، وبالمقابل: يُلاحظ أن زوال الدول، وانهيار الأنظمة السياسية كان أحد أهم أسبابه الجوهرية اختلال موازين العدالة وتفاقم الظلم، واضمحلال مبادئ العدالة في بنية المجتمع. إذ تؤكد وقائع التأريخ أن كل نظام حكم حين يسمح بترسيخ المظالم، فإنه يؤسس من حيث لا يشعر لنهايته الحتمية، ومن ثم فإن الازدهار الحضاري لا ينفك منطقيًا عن تحقق العدالة الاجتماعية على مستوى الفرد والمجتمع، في حين أن الظلم يظل العامل الأكثر فاعلية في تسريع وتيرة السقوط الحضاري، والانهيار المؤسسي للدولة؛ ولهذا فإن الإسلام حرم الظلم أيما تحريم، وحذر من عواقبه في كثير من المواطن، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا)). [٢] لذا فإنه (لا يمكن لأمة أن تنهض إلا إذا قامت العدالة الاجتماعية فيها على أسس متينة، حيث يكون لكل فرد حقه دون إجحاف أو تمييز)[٣].

ويتضح من دراسة النتاج الفكري للأستاذ مصطفى السباعي، ولا سيما كتابه الشهير "اشتراكية الإسلام" أو "العدالة الاجتماعية في الإسلام"، أنه سعى إلى تقديم معالجة فكرية متكاملة ترد بشكل علمي منهجي على الأطروحات والأفكار الاشتراكية الوافدة من خارج الفكر الإسلامي، وأعني بذلك الأفكار الشيوعية التي تدعي السعي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، والتي لاقت انتشارًا ورواجا واسعًا عقب

---

(١) ينظر: دستور الجمهورية العربية السورية لعام ١٩٥٠: مجلس الشعب السوري، المطبعة الحكومية، دمشق، ط١/١٩٥٠م، مادة ٢٨، ص١٢.

(٢) صحيح مسلم: ١٩٩٤/٤.

(٣) اشتراكية الإسلام: مصطفى السباعي، دار القلم، دمشق – سوريا، ط/٣ لسنة ٢٠٠٧، ص ٤٥.

الحرب العالمية الثانية، مدفوعة بانتصار الاتحاد السوفيتي على ألمانيا النازية حيث أدى ذلك إلى تصاعد الفكر الشيوعي، ونمو التيار اليساري، ليس فقط في روسيا ودول أوروبا الشرقية فحسب، بل امتد تأثيره إلى العالمين العربي والإسلامي أيضًا حيث ظهرت نظم سياسية، وأحزاب عربية تعتنق النظرية الاشتراكية، وغزت بفكرها عقول شباب ذلك الجيل.

وقد سعى الأستاذ السباعي في كتاباته عن العدالة الاجتماعية في الإسلام إلى تحصين الشباب المسلم ثقافيًا وفكريًا من المدّ الأيديولوجي القادم من موسكو، مبرزًا أن الإسلام سبق جميع الأنظمة الوضعية في طرح مبادئ العدالة الاجتماعية، وإنصاف الفقراء، ومحاربة التمييز الطبقي، وقد حرص السباعي من خلال كتاباته على توضيح أن الفكر الإسلامي بتشريعاته ومبادئه، يعمل على إذابة الفوارق بين الطبقات الاجتماعية في قطاعات الصحة والتعليم وحق والعمل وحق الحياة بكرامة، فالرعاية الصحية والتعليم وحق العمل وسائر حقوق الإنسان الاجتماعية ينبغي أن تكون متاحة للجميع بالتساوي دون تمييز بين فقير وغني، فالفكر الإسلامي يؤسس لمجتمع تسوده المساواة والعدالة الاجتماعية حيث تبرز طروحات السباعي الحضارية لترسيخ التصور الإسلامي للعدالة الاجتماعية في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة إذ يعد تطبيق مفاهيم العدالة الاجتماعية ركن أساس في أي حضارة، وديمومة الدول مرهون بتطبيق العدالة حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، والدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام).[١]

وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نستخلص النقاط الآتية:

١- يتبيّن من تحليل فكر مصطفى السباعي أن العدالة الاجتماعية تشكل جوهر البناء الحضاري المستدام، إذ تساهم في ترسيخ التماسك الاجتماعي، وتعزيز فرص التنمية المتوازنة.

٢- قدّم السباعي[٢] تصورًا متقدّمًا يدمج البُعد الأخلاقي بالنهج المؤسسي في إطار يضمن تحقيق العدالة والإنصاف في توزيع الفرص والثروات.

---

(١) مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمعه ورتبه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١/١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ١٤٦/٢٨.

(٢) وقد أكد السباعي على أهمية تطبيق العدالة الاجتماعية كركيزة لاستدامة الحضارة من خلال المادة ١٨ في الدستور السوري لعام ١٩٥٠م حيث تنص على ضرورة أن (تضع الدولة نظاماً للضمان الاجتماعي يحمي الطبقة الفقيرة، ويكفل المساواة في الفرص بين المواطنين) دستور الجمهورية العربية السورية لعام ١٩٥٠: مجلس الشعب السوري، المطبعة الحكومية، دمشق، ط١/١٩٥٠م، مادة ١٨، ص٩.

٣- إن رؤيته تؤكد أن استقرار المجتمعات وتجددها الحضاري مرهونان بترسيخ مبدأ العدالة كمنظومة شاملة لإدارة الدولة ومؤسساتها.

وفي ضوء التحديات المعاصرة تبدو الحاجة ملحّة إلى تبنّي هذا النموذج لإرساء مجتمع حضاري يحقق مبدأ التكافؤ في الحقوق والواجبات بين أبناء المجتمع الواحد.

خامسا: أهمية تحصين الأسرة من الغزو الفكري كأساس لبناء الحضارة:

تُعدّ الأسرة الركيزة الأساسية في بناء المجتمع، وصياغة هويته الثقافية والفكرية، ويمثل تحصينها ضد الغزو الفكري حجر الزاوية في ضمان استمرارية حضارة الأمة، وصيانة معالمها الأصيلة، فالأسرة في فكر الدكتور مصطفى السباعي، تتجاوز كونها مجرد وحدة اجتماعية تقليدية؛ إذ تتجسد بوصفها ساحة رئيسة للتنشئة الفكرية والتربوية التي من خلالها يتشكل فكر الطفل، حيث تُغرس القيم والمبادئ التي تعزز الانتماء للأمة، وتصون الهوية الثقافية للفرد من التشويه والضياع؛ ولأهمية دور المرأة في بناء الأسرة نلاحظ أن السباعي قد أفرد كتابا مستقلا حول فقه المرأة، وقد ألفه تحت عنوان (المرأة بين الفقه والقانون)؛ وذلك لما للمرأة من دور أساسي مهم في تنشئة الأسرة وبنائها الفكري والثقافي.

ويرى السباعي أن الأسرة لا تؤدي دورًا عابرًا في حياة الأفراد، بل تكتسب وظيفة استراتيجية تتمثل في حماية الفكر الناشئ من تيارات التغريب، ومحاولات الطمس الثقافي، فحين يتعرض المجتمع لرياح الأفكار الدخيلة والمفاهيم المنحرفة، تكون الأسرة السليمة بمثابة الحصن والخط الدفاعي الأول الذي يتصدى لهذه المؤثرات، مانعًا تسللها إلى نفوس أفراده، وفي هذا السياق يشير السباعي إلى أن الأسرة الواعية تساهم بشكل فعال في ترسيخ الهوية، عبر بناء جيل معتز بجذوره، مدرك لأبعاد رسالته الحضارية، وقادر على التمييز بين الأصالة الفكرية والدخيل الوافد. (١)

وانطلاقًا من هذا التصور يصبح الاهتمام بتربية الأسرة والارتقاء برسالتها التربوية ضرورة ملحة لمواجهة تحديات العصر؛ لأن ضعف الأسرة أمام الغزو الفكري يفتح الباب أمام تغييب الهوية الثقافية وتشويه القيم، مما يؤدي إلى زعزعة كيان الأمة برمّته؛ لأن التفكك الأسري يعد أكبر تحدي يواجه الأسرة في القرن الحادي والعشرين، ولاسيما مع تصاعد تأثير الغزو الثقافي عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي (social media) وتنامي الفكر المادي وتأثيره على بنية الاسرة، وقطيعة الرحم بين الأقارب، حيث يقول السباعي: (أخطر ما يواجه الأمة في بناء حضارتها هو الاستعمار الثقافي

(١) ينظر: لمزيد من التفاصيل: من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعي، ص٧٣.

الذي يحاول طمس الهوية الإسلامية، فبدون الهوية تضيع الأمة) [١]، فالسباعي يسعى عن طريق تركيزه على قضية المحافظة على الهوية الإسلامية إلى تأصيل الإرث الفكري والتربوي السليم داخل النواة الأسرية، مما يُمكنها من مواجهة تحديات العصر إذ توفر البيئة الأسرية المُحصّنة فكريا مناخا سليما للنقاش البنّاء، والتحليل الحر بأسلوب يساعد على تنمية وعي نقدي متجدد يرفض الأفكار المضللة، ويستهجن الممارسات السطحية، وفي هذا السياق يؤكد السباعي فكرة أن الأسرة المُحصّنة تُشكّل النقطة المحورية التي تنطلق منها عملية بناء الحضارة حيث ترتكز على معايير أصيلة، حيث يقول: (الأسرة المُحصّنة تظلّ نواة الحضارة، وهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإذا فسدت الأسرة تفكك المجتمع، وإذا صلحت الأسرة قامت الحضارة على أسس ثابتة). [٢]

في ضوء ما تقدم: يتضح أن تحصين الأسرة من الغزو الفكري لا يتحقق إلا عبر مقاربة تربوية متجددة، تجمع بين الأصالة والانفتاح الواعي، وتعزز من قدرة الأسرة على مواجهة التحديات الفكرية بعقلية نقدية متزنة؛ إذ تقتضي هذه المهمة تفعيل منظومات تربوية منفتحة على مستجدات العصر ومتغيراته، دون التفريط في الثوابت الإسلامية التي تشكل هوية الأمة، ومن هنا تبرز أهمية ترسيخ الحوار الهادف داخل الأسرة، باعتباره جسرًا يعبر به التراث القيمي الذي يحمله الآباء إلى أبنائهم نحو المستقبل بوعي وإبداع (فالبيت المسلم هو المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الطفل عقيدته، ويتعلم فيها أخلاقه، ويتربى فيها على حب أمته، والاعتزاز بتاريخه، والاستعداد لخدمة دينه ووطنه، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا فسدت الأسرة فسد المجتمع)[٣].

إن النجاح في حماية الأسرة فكريًا يمثل استثمارًا استراتيجيًا في استقرار المجتمع ونموه، ويشكل السياج المتين الذي يحفظ تماسك الهوية الثقافية في وجه رياح التغيير العاتية، فبهذا التحصين المتكامل، تُبنى الحضارات القادرة على الموازنة بين الثبات على المبادئ، والتفاعل الإيجابي مع متغيرات العصر.

وبالمحصلة: من الاستقراء والتتبع في كتابات الأستاذ السباعي حيث يُظهر مبدأ تحصين الأسرة من الغزو الفكري رؤية استراتيجية متكاملة تهدف إلى صون التراث الفكري والقيمي للأمة بوصفها الأساس الذي تُبنى عليه الحضارة بشكل متماسك يصمد أمام تحديات العصر وتقلباته، وبمنهج علمي أصيل يحافظ على روحه الأصيلة في مواجهة كل ما يُهدد وحدة الأسرة وتماسكها.

---

(١) هذا هو الإسلام: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط/٣ لسنة ٢٠٠٠، ص٩١.

(٢) هكذا علمتني الحياة: مصطفى السباعي، ص. ٧٤.

(٣) المصدر نفسه: ص. ٧٥.

وهذا ما حرص السباعي على كتابته في الدستور السوري لعلم ١٩٥٠م، حيث نصت المادة ٣٢ من الدستور على أن (الأسرة هي الركن الأساسي للمجتمع، وتكون في حِمى الدولة، وتشجعها على الزواج وتدعم كيانها)[١] ، وقد حرصت معظم الدساتير في الدول العربية على تضمين هذه الفقرة في دساتيرها كالدستور العراقي، والدستور القطري وغيرهما حيث تضمنا فقرة مماثلة تؤكد على أهمية بناء الأسرة وحمايتها من التفكك[٢].

سادسا: إرساء قيم التعايش السلمي كأساس للبناء الحضاري:

تُعَدُّ قيم التعايش السلمي ركيزة أساسية في رسم معالم المجتمع المتحضر، إذ هي تعبر عن نضج الفكر واتساع المدارك، وإيمان بقيم التسامح، فهي ترتكز على مزيج متكامل من الأبعاد الأخلاقية، والممارسة العمليَّة بشكل يعزز من التماسك الاجتماعي، ويؤصل لمفهوم المواطنة بإشاعة جو الاحترام والتآخي بين أبناء المجتمع الواحد، وهذا ما ركز عليه الدكتور مصطفى السباعي إبان عضويته في لجنة كتابة الدستور[٣] حيث تتجلى لمساته في أبهى حللها عن طريق بلورة رؤية جديدة تُعيد صياغة العلاقة بين الفرد والمجتمع بتأصيل مبادئ الحوار البنّاء، والاعتراف بتعددية الآراء، واحترام مكونات المجتمع والتنوع الثقافي، مما يؤدي إلى تجاوز الانقسامات التقليدية، وتفكيك الحواجز التي تحول دون تحقيق الانسجام الحضاري، والتعايش السلمي بين أبناء المجتمع حيث يقول: (الإسلام دين يقر التعددية، ويحث على التعايش، وهو بذلك يقدم نموذجًا حضاريًا يستطيع أن يحتوي كل الثقافات) [٤] إذ يتضمن هذا المنهج ما يستدعي تنشيط الوعي الداخلي لدى الأفراد بحيث يصبحون سفراء للتسامح، قادرين على استيعاب خصوصيات الآخر دون أن يُفقدوا إحساسهم بخصوصيتهم وهويتهم، وفي ذات الوقت يُعيدون تشكيل البيئة الاجتماعية عبر أنشطة ثقافية، وتعليمية تعكس روح التعايش الاجتماعي.

وأبرز مثال عظيم لحالة التعايش السلمي والعيش المشترك في دساتير العالم هو الدستور النبوي في المدينة المنورة، فبعد انتقال النبي محمد إلى المدينة، لم تكن الخطوة الأولى تأسيس دولة تقوم على

---

(١) دستور الجمهورية العربية السورية لعام ١٩٥٠: مجلس الشعب السوري، المطبعة الحكومية، دمشق، ط١/١٩٥٠م، مادة ٣٢، ص١٤.

(٢) يراجع: جمهورية العراق. (٢٠٠٥). دستور جمهورية العراق [المادة ٢٩]. الجريدة الرسمية، ٤٠١٣، ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٥. ودستور دولة قطر [المادة ٢١]. الجريدة الرسمية لدولة قطر، ١٧، ٢١ يونيو ٢٠٠٤.

(٣) ورد في المادة السابعة في الدستور (المواطنون متساوون أمام القانون في الواجبات والحقوق وفي الكرامة والمنزلة الاجتماعية). يُنظر: الجمعية التأسيسية السورية، دستور الجمهورية السورية لعام ١٩٥٠، ويكي مصدر، المادة السابعة: https://ar.wikisource.org/wiki/دستور_الجمهورية_السورية_لعام_١٩٥٠.

(٤) عظماء من التاريخ: مصطفى السباعي، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، ط/٢ لسنة ٢٠٠٢، ص ١١٢.

الغلبة أو الإقصاء، بل كانت غايته بناء كيان مجتمعي يتسع لأهل المدينة آنذاك، فجاءت وثيقة المدينة كإطار تعاقدي غير مسبوق في محيطه، حيث نظمت العلاقة بين المسلمين واليهود وبعض القبائل غير المسلمة التي تسكن في محيط المدينة، واضعةً الأساس لنموذج راق من صور التعايش التي تستند إلى العدل واحترام الآخر، فهذه الوثيقة لم تُلزم الأطراف بتغيير معتقداتهم، بل ضمنت لهم الحرية الدينية ضمن كيان سياسي واحد تحت القيادة المسلمة، وهكذا ظهرت المدينة المنورة كأول مجتمع إسلامي قائم على مبدأ التعدد داخل المجتمع الواحد، فلا يلغى الآخر بل تحترم إنسانيته، وتصان حقوقه، وتحفظ العهود التي تبرم معه مادام ملتزما بها حيث يقول السباعي (فبإبرام هذه الوثيقة الدستورية صارت المدينة المنورة وضواحيها دولة وفاقية، قدمت المثال الراقي للمدنية والحضارة المبنية على أسس القيم الإنسانية) .[١]

وهنا أود تسجيل ملحوظتين مهمتين وهما:

١- ضرورة تفعيل الوسائل العملية التطبيقية لقيم التعايش الاجتماعي كأساس للبناء الحضاري، ولا يُمكن إرساء قيم التعايش السلمي دون تفعيل آليات العمل المشترك بين مختلف الأطياف والجهات؛ إذ يُمثِّل الحوار الحضاري جسرًا يربط بين الحضارات والثقافات، ويحوّل التحديات إلى فرص للتلاقي والتكامل على صعيد المجتمعات والشعوب والدول.

٢- إن اللغة المحكية في الشارع، وكذا ما يكتب من تعليقات في وسائل التواصل الاجتماعي تشكّل وسيلة محورية لبناء تواصل حضاري يعبر عن قيم التعايش السلمي، والعيش والمشترك بين أبناء المجتمع الواحد، فهي ليست مجرد أداة للتعبير عن الرأي بل هي مفتاح لترسيخ القيم الحضارية، ومعيار مهم لمعرفة مدى نضج الفرد، وانضباط المجتمع المحيط به؛ إذ لا تقتصر أهمية الكلمة على توصيل الأفكار فقط، بل تمثل أداة لإعادة تشكيل المسارات الفكرية التي تحدد الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد مع بيئاتهم الاجتماعية، وللوصول إلى مجتمع تسوده القيم الحضارية لابد من فحص المفردات السائدة على ألسنة الناس، فالمجتمع الحضاري لا يتنمر أفراده فيما بينهم بسبب الفكر أو المذهب أو المعتقد، ولا يسب الناس بعضهم البعض، ولا تهان فيه الأعراض والكرامات مما يكتب في وسائل التواصل الاجتماعي، ولا يخون بعضهم بعضا؛ لأن ذلك يعمّق الانقسام المجتمعي، ويتنافى مع قيم التعايش السلمي التي هي أساس للبناء الحضاري.

---

(١) السيرة النبوية: دروس وعبر: د. مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط١/٢٠٠٩م، ص٨٤.

وبالجملة: فإن إرساء قيم التعايش السلمي كأساس للبناء الحضاري يوفر أرضية خصبة لحرية الفكر، وحرية التعبير، باعتبارها العامل الفاعل والمؤثر في ديمومة البناء الحضاري للمجتمع، وهذا ما أولاه الأستاذ السباعي ورفاقه في لجنة كتابة الدستور حيث نصت المادة الثالثة من دستور عام ١٩٥٠م بما يلي: (حرية الاعتقاد مصونة، والدولة تحترم جميع الأديان السماوية، وتكفل حرية القيام بجميع شعائرها على ألاّ يخل ذلك بالنظام العام).[١]

والله أسأل أن يوفق أمتنا لما فيه صلاح البلاد والعباد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خاتمة البحث

في ختام هذا البحث، يتبيّن لنا أن فلسفة البناء الحضاري للمجتمع في فكر الأستاذ مصطفى السباعي تمثل مشروعاً متكاملاً يجمع بين الأصالة الإسلامية ومتطلبات الواقع المعاصر، فمشروعه وفكره يستند إلى رؤية أخلاقية وإنسانية شاملة مستمدة من روح الفكر الإسلامي؛ وذلك لأن بناء الإنسان هو الذي يفضي إلى بناء العمران وتحقيق النهضة الحضارية، وكل أشكال التنمية المستدامة التي توفر للإنسان الرعاية الصحية في مستشفيات ومختبرات علمية متقدمة، وتعليم مجاني لا يفرق بين فقير أو غني، ونظام جامعي ينافس الجامعات الرصينة، وعيش كريم يشعر الإنسان بقيمته وإنسانيته، وقد سعى السباعي في كتاباته وطروحاته الفكرية إلى ترسيخ قيم العدل، والحرية، والمساواة، والتعايش السلمي، وتكافؤ الفرص، بوصفها منطلقات أساسية لأي نهضة حضارية، كما أكد على أهمية بناء الإنسان، وتحصين الأسرة، وتطوير مناهج التربية والتعليم، بوصفها ركائز لأي مجتمع يريد أن ينهض حضاريا، ويواكب التطور المادي مع المحافظة على القيم الاجتماعية.

وقد برز دور السباعي في لجنة صياغة الدستور السوري لعام ١٩٥٠م، حيث سعى إلى دمج المبادئ الإسلامية في الإطار الدستوري من منطلق مدني معاصر ينسجم مع روح العصر حيث استطاع بملكته الفكرية والثقافية، وأسلوبه السلس المميز في إعادة صياغة النصوص الفقهية الموجودة في الكتب القديمة؛ لتكتب بأسلوب قانوني معاصر، وطرح دستوري محكم وحديث حيث استند السباعي في مقارباته وصياغاته الدستورية إلى النصوص الشرعية وجوهرها الروحي والأخلاقي، فقد برع في تقنين القوانين والنصوص الدستورية بصياغة حديثة تؤسس لدولة قائمة على مؤسسات متطورة قادرة

(١) دستور الجمهورية العربية السورية لعام ١٩٥٠: مجلس الشعب السوري، المطبعة الحكومية، دمشق، ط١/١٩٥٠م، مادة ٣، ص٤.

على استيعاب متطلبات المجتمع المعاصر وتحدياته، وتؤسس أيضا لمجتمع يواكب التطور الحضاري العالمي في ظل دولة المواطنة بعيدا عن التعصب الفكري أو المذهبي أو الطائفي.

وتتجلى رؤيته الفكرية في إيمانه العميق ببناء الدول المعاصرة بترسيخ مفهوم الحوار الاجتماعي، وصيانة حرية الرأي والتعبير، وكرامة الإنسان، وحماية بنية الأسرة من الغزو الفكري، ومراعاة الخصوصية الدينية والثقافية للمجتمع حيث ركز السباعي على أمر مهم، وهو أن البناء الحضاري لا يتحقق بمجرد سن القوانين، بل يتطلب إصلاحاً أخلاقياً وفكرياً شاملاً حيث تمثل تجربة السباعي نموذجاً متقدماً في الفكر الإسلامي في القرن العشرين، يُمكن الاستفادة منه في مشاريع النهضة في العالم العربي والإسلامي، بما يضمن التوازن بين المرجعية القيمية والاستجابة للتحديات المعاصرة، إذ إن دعوته ما تزال حاضرة وملهمة في زمن تزداد فيه الحاجة إلى مشاريع حضارية تحافظ على القيم، متطلعة على المستقبل.

المصادر باللغة العربية

- **القرآن الكريم.**

١- أخلاقنا الاجتماعية: مصطفى السباعي، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط/٣ لسنة ٢٠٠٥م.

٢- أزمة الشباب المسلم: مصطفى السباعي، دار المعرفة، دمشق – سوريا، ط/٢ لسنة ٢٠٠١م.

٣- إشتراكية الإسلام: مصطفى السباعي، دار القلم، دمشق – سوريا، ط/٣ لسنة ٢٠٠٧م.

٤- الأعلام: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥/ ٢٠٠٢م.

٥- تأريخ ابن خلدون (المقدمة): لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ، دار الفكر، بيروت، ط١/ ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.

٦- التحرير والتنوير: للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١/ ١٩٨٤م.

٧- الحركات الإسلامية في سورية من الأربعينيات وحتى نهاية عهد الشيشكلي: يوهانس رايسنر، ترجمة: د. محمد إبراهيم الأتاسي، مطبعة رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١/٢٠٠٥م.

٨- دستور الجمهورية العربية السورية لعام ١٩٥٠: الجمعية التأسيسية، المطبعة الحكومية، الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية، دمشق، لعام ١٩٥٠م.

٩- دستور جمهورية العراق [المادة ٢٩]. الجريدة الرسمية، جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥م.

١٠- دستور دولة قطر [المادة ٢١]. الجريدة الرسمية لدولة قطر، لعام ٢٠٠٤م.

١١- الدكتور مصطفي السباعي قائد جيل ورائد أمة: د. أدهم جرار، دار البشير، ط١/ ١٩٩٤م.
١٢- رجال الفكر والدعوة في الإسلام: لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، ط٢/ ١٩٧٦م.
١٣- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط/٦ لسنة ١٩٩٨م.
١٤- سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١/ ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.
١٥- السيرة النبوية – دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق، ط٨/ ١٩٨٥م.
١٦- السيرة النبوية: دروس وعبر: د. مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط١/٢٠٠٩م.
١٧- صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٥/ ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.
١٨- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١/ ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥م.
١٩- عظماء من التاريخ: مصطفى السباعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/٢ لسنة ٢٠٠٢م.
٢٠- قصة الحضارة: وِل ديورانت وأرييل ديورانت، ترجمة: د. محمد بدران وآخرين، دار الجيل، بيروت، ط١/١٩٧٥م.
٢١- مجلة حضارة الإسلام للدراسات تاريخية: عقيلة حايد، عدد ٢، أبريل، ٢٠١٤م.
٢٢- مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمعه ورتبه: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١/١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٢٣- مذكرات أكرم الحوراني: أكرم الحوراني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١/ ٢٠٠٠م.
٢٤- المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى بن حسني السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط٧/ ١٩٩٩م.
٢٥- المسألة الدينية في الدساتير السورية: مسح تاريخي ومقارن، مجموعة مؤلفين، وحدة بحوث النزاع، مدرسة لندن للاقتصاد، لندن- بريطانيا، ط١/ ٢٠١٨م.

٢٦- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط١/ ١٩٨٨م.
٢٧- مصطفى السباعي الداعية الرائد والعالم المجاهد: د. عبد الله الطنطاوي، دار القلم، دمشق، ط١/٢٠٠١م.
٢٨- مصطفى السباعي الداعية المجدِّد: لعدنان محمد زرزور، دار القلم، دمشق، ط١/٢٠٠٠م.
٢٩- مصطفى السباعي بأقلام محبيه وعارفيه: بقلم محمد السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١/٢٠٠٠م.
٣٠- مصطفى السباعي صفَحات من جهاد متواصل: لمحمد بسام الأسطواني، دار الوراق للنشر، عمان، ط١/٢٠٠٠م.
٣١- من روائع حضارتنا: د. مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٢- موسوعة ويكيبيديا الحرة: كتب ومؤلفات الدكتور مصطفى السباعي.
٣٣- هذا هو الإسلام: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط/٣ لسنة ٢٠٠٠م.
٣٤- هكذا علمتني الحياة: مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ط/٤ لسنة ٢٠٠٣م.

References

The Holy Qur'an

1. Al-A'lam (Biographical Encyclopedia). Al-Zirikli, Khayr al-Din. Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin, 2002 (15th ed.).
2. Al-Tahrir wa al-Tanwir. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. Tunis: Tunisian Publishing House, 1984.
3. Books and Works of Dr. Mustafa Al-Sibai. Wikipedia. Wikipedia Free Encyclopedia.
4. Civilization of Islam: Journal of Historical Studies, no. 2, April 2014. Hayid, Aqilah (ed.).

5. Dr. Mustafa Al-Sibai: A Leader of a Generation and Pioneer of a Nation. Jarrar, Adham. Amman: Dar al-Bashir, 1994.
6. Great Figures of History. Al-Sibai, Mustafa. Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 2002 (2nd ed.).
7. Islamic Movements in Syria from the 1940s to the End of Shishakli's Era. Reisenner, Johannes. Translated by Muhammad Ibrahim al-Atasi. Beirut: Riyad al-Rayyes Books, 2005.
8. Majmu' al-Fatawa. Ibn Taymiyyah, Ahmad. Compiled and arranged by Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Qasim. Madinah: King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, 2004 (1425 AH).
9. Masterpieces of Our Civilization. Al-Sibai, Mustafa. Beirut: Dar al-Warraq & Al-Maktab al-Islami, 1999 (1st ed.).
10. Memoirs. Al-Hawrani, Akram. Cairo: Madbouli Library, 2000.
11. Men of Thought and Da'wah in Islam. Al-Nadwi, Abu al-Hasan. Damascus: Dar al-Qalam, 1976 (2nd ed.).
12. Mustafa Al-Sibai in the Writings of His Admirers and Companions. Al-Sibai, Muhammad. Amman: Dar al-Warraq, 2000.
13. Mustafa Al-Sibai: Pages from a Lifelong Struggle. Al-Astuwani, Muhammad Bassam. Amman: Dar al-Warraq, 2000.
14. Mustafa Al-Sibai: The Pioneer Preacher and Struggling Scholar. Al-Tantawi, Abdullah. Damascus: Dar al-Qalam, 2001.
15. Mustafa Al-Sibai: The Renewing Preacher. Zarzur, Adnan Muhammad. Damascus: Dar al-Qalam, 2000.
16. Our Social Morals. Al-Sibai, Mustafa. Cairo: Dar Al-Shorouk, 2005 (3rd ed.).
17. Sahih al-Bukhari. Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail. Edited by Mustafa Dib al-Bugha. Damascus: Dar Ibn Kathir, 1993 (5th ed., 1414 AH).

18. Sahih Muslim. Muslim ibn al-Hajjaj. Edited by Muhammad Fu'ad Abd al-Baqi. Cairo: Issa al-Babi al-Halabi Press, 1955 (1374 AH).
19. Socialism in Islam. Al-Sibai, Mustafa. Damascus: Dar al-Qalam, 2007 (3rd ed.).
20. Sunan al-Tirmidhi. Al-Tirmidhi, Abu Isa Muhammad ibn Isa. Edited by Shu'ayb al-Arna'ut et al. Beirut: Dar al-Risalah al-Alamiyyah, 2009 (1430 AH).
21. The Constitution of the Arab Republic of Syria, 1950. Constituent Assembly. Official Gazette, Damascus, 1950.
22. The Constitution of the Republic of Iraq [Article 29]. Official Gazette, Baghdad, 2005.
23. The Constitution of the State of Qatar [Article 21]. Official Gazette, Doha, 2004.
24. The Crisis of Muslim Youth. Al-Sibai, Mustafa. Damascus: Dar al-Ma'rifah, 2001 (2nd ed.).
25. The Muqaddimah (Introduction to History). Ibn Khaldun, Abd al-Rahman. Beirut: Dar al-Fikr, 1981 (1401 AH).
26. The Problem of Ideas in the Muslim World. Bennabi, Malek. Beirut–Damascus: Dar al-Fikr al-Mu'asir; Dar al-Fikr, 1988.
27. The Prophetic Biography: Lessons and Morals. Al-Sibai, Mustafa. Beirut–Damascus: Al-Maktab al-Islami, 1985 (8th ed.).
28. The Prophetic Biography: Lessons and Morals. Al-Sibai, Mustafa. Beirut: Dar al-Warraq, 2009 (1st ed.).
29. The Religious Question in Syrian Constitutions: A Historical and Comparative Survey. Collective authors. Conflict Research Unit, London School of Economics, London, 2018.
30. The Story of Civilization. Durant, Will & Ariel Durant. Translated by Muhammad Badran et al. Beirut: Dar al-Jil, 1975.

31. The Sunnah and Its Role in Islamic Legislation. Al-Sibai, Mustafa. Beirut: Al-Maktab al-Islami, 1998 (6th ed.).
32. This Is Islam. Al-Sibai, Mustafa. Beirut: Al-Maktab al-Islami, 2000 (3rd ed.).
33. Thus Life Taught Me. Al-Sibai, Mustafa. Damascus: Dar al-Warraq, 2003 (4th ed.).
34. Woman Between Jurisprudence and Law. Al-Sibai, Mustafa bin Husni. Beirut: Dar al-Warraq, 1999 (7th ed.).